

خُطْرُفُهُ

بين الواقع والخيال

محمود الشرنوبى

2014

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

خطر فہ

بین الواقع والخیال

تألیف

محمود الشرنوبی

مقدمه

كنت مريضاً بشده. ففي الصباح شعرت بدغدغه في جسدي وزغلله في عيني كنت مشغل اللاب بقالي زمن هو إحنا بقى ورانا حاجه غير كده. قولت عادي، وماحطتش في دماغي، إلا أن حالتي إزدادت سوءاً بمرور الوقت، حتى إرتفعت درجة حرارتي وإزدادت دغدغه جسدي، فلم أجد إلا أن أبوح لمن حولي بذلك.

فنصحوني بقليل من الطعام معاه حاجه دافيه لأتمكن من تناول مسكنات، ثم اتغطى بكل اللي في البيت. هي عادتنا ولا هنشتريها، وفعلت. اللهم لا إعتراض.

وفي الليل قبل أن أفعل ثانية ما قد نصحوني به حرفياً وأنا أحمد الله على ما قد أصابني. أخبروني أن الساعه الآن تدق أجراسها عند الحادية عشر مساءً

وما زال أمامي ساعه كامله قبل أن أتناول الجرعه الثانيه من الدواء. إذاً عليّ أن أفعل شئ أو لا أفعل، المهم أن تمر هذه الساعه، فهي ثقيله على قلبي جداً ولا أعلم السبب. عليّ بالطريقه السحريه التي تهون علينا الكثير والكثير. الطريقه التي قد تؤدي بنا أحياناً إلى النسيان.

أغمضت عيني بشده لعلّي أنام أسرع من المعتاد. فأنا عادةً لا أنام بسرعه، وباليطني ما فعلت فمع كل محاولاتي لم أفلح في أن أنام. بل أصابتنى خطرته نتيجة للسخونيه الشديده.

خطرته صامته، عشت فيها وحدي دون أن يشاركني أحد، أجمع فيها من الماضي والحاضر ما يناسب بعضه لتظهر في النهايه قصه محبوبه يصدقها من يسمع عنها. مثل السخونيه التي لم تصب غيري والحمد لله، فقط يشعر بها من يتلمس جبهتي حينما يريد ودون أن أتفوه بكلمه.

الفصل الأول

كعادي كل يوم. آتي إلى السوق مبكراً وعند مدخل القرية أبيع ما أفرشه.
أقصد نبيع فنحن ثلاثة أصدقاء جئنا إلى هنا معاً.

يجلس على يميني الأستاذ "عدي" تتوفر فيه صفات التاجر الماهر وله أسلوبه
الخاص في الإقناع لكنه حاد في كلامه أحياناً. إلى جواره المهندس "عبدالرحمن"
ولفظه المهندس تلك لقب مكتسب بالرغم من عدم دراسته للمهندسه إلا أننا
نناديه بها فهو حقاً مهندس في كل شيء، خاصة في كلامه المعسول وشكله
المهندم وبالرغم من معرفتي به منذ زمن إلا أنني لا أعرف إن كانت تلك

خصال متأصلة فيه أم أنه يمثل. ذلك لا يهم، المهم أنه في النهاية أصبح كذلك لأننا في مهنتنا تلك نحتاج إلى صفات مشابهة في معاملة الزبائن لكسب قلوبهم فتزداد تجارتنا ومن ثم أرباحنا، أذكر أنني تعلمت من صديقي عبدالرحمن أنه حينما أريد إمتلاك قلب شخص أو عقله فسوف يحدث ذلك بالتأكيد قد يكون الأمر في ظاهره صعب المنال، لكنه غير مستحيل الحدوث بالدوي على الودان. أما صاحبنا الأستاذ عدي فدوره في المعاملات مع التجار فهم يشبهونه في الكثير من الخصال خاصة حدة الصوت والنرفزة السريعة قبل إكمال النقاش حتى إن إكتمل النقاش فلا فائده أو جدوى من ذلك، لكنه في النهاية قادر على إقناعهم بطريقته تلك! بينما دوري هو تحصيل النقود من الزبائن وخصم المكسب لدفع ثمن البضاعة للتجار، طبعاً عن طريق الأستاذ عدي.

ولكن منذ بداية اليوم والرياح شديده جداً والأتربه تحجب الرؤيه من حولنا برغم أنه لم يحن فصل الربيع. هناك شئ غريب وملفت للنظر نشعر به ولا نعلم ماهو! قلبي مقبوض بدرجة غريبه ولا أعلم السبب! وأتساءل هل سنخسر اليوم؟ أم سنسرق وذلك نادراً ما يحدث في تلك القرية؟! أم سأفقد أحد أصحابي؟

حتى ظهر علينا ظل من بعيد، وإذ بالصراخ يملأ أرجاء القرية. كان ذلك بالنسبة لي جرس إنذار، ولكنني لم أشعر بعدها إلا بجسم كبير يحيط ناحية أصدقائي. إنتفضت من مكاني لأتثبت في ذلك الشيء وكانت تلك القفزه للنجاه فهكذا هي غريزة البقاء.

أنا الآن متثبت في شيء لا أعلم ما هو، خمنت بأنها قدم لقربها من الأرض حينها كانت ثابتة بينما الأخرى تقترب من الأرض إذا فالتثبت بها يحين دورها لتتحرك، ماذا أفعل قبل أن تتحرك؟ سأطير في الهواء ثم أرطم بالأرض وتهشم ضلوعي حينما يرفعها متحركاً أو ربما جاءني سكتة قلبيه قبل أن يحدث ذلك كله، ليتني طرزان أو بهلوان لأتنقل من واحده إلى أخرى بسهولة وأتثبت بها جيداً. ولعاودت فعل ذلك مراراً، حتى إن حدث ذلك إلى متى سأظل هكذا؟ ما كل هذا التفكير؟ وماذا سيفديني الآن؟ عليّ أن أفعل شيئاً أجهله!

الفصل الثاني

حينها لم أشعر بجسدي إلا وأنا أطيّر في الهواء كما أتمنى وكأني أصبحت في لحظه بهلوان. بعد ذلك لم أعد أشعر بشيء نهائياً! ثم بعد وقت لا أستطيع تحديده بدأت أستفيق مما كنت فيه ولا أعلم فيم كنت.

خير اللهم إجمعه خير، أنا كنت بحلم ولا إيه؟! فتحت عيني فإذا بالسماة فوقى مباشرة وبنظرة إستغراب ممزوجه بضحك هيسيري مع شعوري بألم شديد في ظهري سندات بإيديا وقولت أقوم بقى. حاولت أفرد ظهري ما أقدرتش، حاولت تاني ويادوب حركت ظهري ٣٠ درجة لفوق بس وإذ بالشئ العجيب يلتقطني، فيضيع منظر السماة من أمام عيني مرة أخرى.

غضبت وتمنيت لو أني أستطيع وأنهال ضرباً على هذا الشيء. صدقاً حاولت ولكن محاولاتي لم تفلح ولن تفلح مقارنةً بحجمه بالإضافة لكونه ماهراً في قبضته لي، فبرغم إحكامه القبضه لم أمت لكنني إختنقت وتصببت عرقاً.

حينها تذكرت مدينتي التي هاجرت منها وأتيت إلى تلك القرية العجيبه.

تكونش هي اللى بعته؟! ربنا يستر ومايرجعنيش على هناك تاني ويقول محتاجينك في مهمه عاجله وسريه من أجل مدينتك القديمه. مدينتي القديمه إنت اللى قولت مش أنا! ده أنا ما صدقت بعدت.

وإذ بإنفراجه، أنا الآن أمام بضاعتي مره ثانيه بعد كل ما حدث، ولكن لا أحد هنا على الإطلاق!

هو فيه إيه؟ يكونش فقره هزليه ولكنها سخيغه جداً وتشبهه الواقع! وبعدين أنا في قرية لم يصل إليها التلفاز، أنا جيت هنا لأن كل حاجه لسه على طبيعتها، كده أنا محتاج حد يفهمني. طب هو الشيء اللي كان ماسكني راح فين؟! ما تفتكر لنا حاجه عدله.

أي حاجه بس أفهم ضهري ماله مقشعر كده ليه؟

بص وراك كده يمكن فيه حد ولا حاجه!

ياريتني مابصيت، هو إيه اللى أنا شوفته ده؟ ده بجد ولا حقيقي؟!

لا ده أكيد بجد و حقيقي، وما بين أكيد ويمكن هكون مت

ما علينا، إنجز وبص تاني كده

أبص على مين؟ على الشئ ده وتاني! مستحيل

ما تخلص بقى و خليك راجل

أنا راجل إني لسه عايش لحد دلوقت وبعد كل اللي حصلي ده

طب يلا بس ربنا يهديك

بسم الله. اللهم إكفينيهم بما شئت. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

أنا : السلام عليكم. إذا سمحت. أيوه إنت. هو إنت إيه؟ أه إيه؟ والناس

فين؟ والأهم أصحابي فين؟

هو : فاكر أول يوم جيت فيه القرية من عشر سنين؟

أنا : مش فاكر

هو : كان فيه مشاجره بين شاب وجزارين القرية (أربعة اخوه)، يومها قطعوا إيده الشمال لأنه جادلهم، وأهل القرية كانوا موجودين وماحدثش عمل أي حاجه، أنا فاكر اليوم ده كأنه لسه حاصل، لكن إنت الوحيد اللي إتقدمت كام خطوه تجاهي، بس أصحابك منعوك. الخير اللي جواك حاول يدفعك لمساعدتي

هو بيتكلم إزاي؟ وإزاي صوته واطي أوي كده؟ وبعدين هو قاعد وبيبتسملي ليه؟ نفسي الأرض تنشق وتبلعني يا إما أصحى من الحلم الغريب ده بقى!

أنا : بصراحه مش فاكر. باقي الناس فين؟ وعايز مني أنا إيه؟

هو : في الجزء القبلي من القرية، حبستهم هناك. ماعدا الجزارين ليهم معامله خاصه

أنا : وأنا؟

هو : ماتستعجلش، كل حاجه هتعرفها في وقتها وما تنساش إني قولتلك ماتستعجلش.

الفصل الثالث

حاولت مراراً أن أستوعب ما يحدث لي ولكن دون جدوى. فما هذا العملاق وكيف؟ حتى أني لا أجد الإِسْئله المناسبه.

تذكرت ما يحدثني عنه. فعندما جئت إلى هنا مهاجراً من مدينتي البعيده وفي أول يوم حدثت مشاجره عند مدخل القرية، ولكن حدث ذلك منذ زمن.

ما الفرق إن كان حدث ذلك بالأمس أو منذ زمن؟!

مع كل ما يقوله هذا العملاق فأنا لا أذكر أني قد فعلت ما لم يفعله غيري مع هذا الشاب الذي يحدثني عنه.

غير أنه منذ ثلاث سنوات إنتشرت في القرية شائعه بأن هذا الشاب مريض،
ولا أعلم من أين أتى ذلك النبأ الذي إنتشر بسرعة البرق، حينها ساهمت بقدر
من المال كغيري مع من كان يجمعه.

أذكر جيداً وجوه أهل القرية حينها وهم يتبرعوا بالقليل من المال، كأنهم
بيعملوا اللي عليهم تجاه هذا الشاب، وفي قرارة أنفسهم تمنوا أن يقترب أجله.

أنا : يا ... بإذا أناديك؟

هو : باسمك أنت. ذلك ما سيكون عن قريب

ده بيعقدها. هو أنا فهمت اللي قاله قبل كده

أنا : إنت ناوي على إيه؟

ثم إختفى الضوء من عيني مره أخرى. ليتني ما سألته

هو : الآن سأنتقم مما حدث لهذا الشاب في تلك الليله والباقي سيأتي
تباعاً

أنا : إعمل الي إنت عايزه لكن خلىنى بعيد، أنا ما بحبش أشوف منظر
دم

هو : لأ لازم تبقى قدها علشان الي مستنيك

أنا : بلاش تقتل لو عايز تنتقم يبقى تاخذ حقك وبس

هو : هخلصك من الأربعة دول نهائياً علشان تعرف تبدأ صح، على
العموم دلوقت إنت قائد القرية ومعاك كل الصلاحيات

وإذ به يضع يده اليمنى على رأسي ويردد كلام غير مفهوم.

شعرت بشئ يتخلل شراييني لا يمكنني وصفه ولكني تغيرت كلياً منذ ذلك
الحين. أصبحت أكثر رصانه كأن العمر تقدم بي في لحظه.

ولكن للآن لم أشعر بتغيير ملحوظ في بنيتي الجسمانيه عكس ما توقعت!

رحل هذا العملاق دون أن أعلم من يكون، وما صلته بالشاب؟ ولو أنه عاد مرة ثانية لما سألته عن ذلك! لأني ما كنت لأصدق ما يخبرني به!

ترك القرية بأكملها بعدما تخلص من الجزارين الأربعة، وحبس أهلها جميعاً دون أن يخبرني ماذا أفعل؟ وكيف أتعامل معهم؟

الآن والآن فقط أصبحت قائد القرية على حد قوله، وبدون رأي أحد غيره

تركتم محبوسين داخل أقفاصهم ينتظرون وأتساءل ماذا علي أن أفعل الآن؟

بعدت قليلاً عنهم لأكون على مرمى أنظارهم ليزدادوا لهفةً لما سوف أفعله ولربما وجدت أنا مبتغاي.

جلست أنظر إليهم وأتذكر حال أهل المدينة التي هاجرت منها آتياً إلى تلك القرية باحثاً عن الهدوء والحياه الطبيعيه دون صخب، وفي هذه اللحظه تيقنت أن هذه القرية بأكملها على مشارف حال أهل مدينتي القديمه.

وأنا على هذه الحال إذ فجأه وجدت بنياني بدأ يتغير بشكل ملحوظ لربما زاد الضعف أو يزيد ورأيت هذا العملاق للمره الأخيره. ولكن هذه المره رأيت في صوره مصغره وإذا به يتملكني كأنه أراد أن يسكن داخلي وفعل.

الفصل الرابع

هذا العملاق رغم أنه يشبه هذا الشاب الذي ترك القرية سابقاً، يستطيع أن يفعل ما لا يقدر عليه الآخرين، كأنه ضاعف قواه لينتقم. ثم دعا الله .. يارب اخرجني من القرية الظالم أهلها، واجعلني من عبادك المخلصين، ولا تجعلني ممن يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)) سورة النساء

ومازلت أنا على هذه الحال. حال المقارنه بين القرية البدائيه التي أتمنى أن تتحقق على أرض الواقع وتكون تلك هي المدينه الفاضله ولكني أتمنى أن تبقى قريه، لما في القرية من طبيعه وخضره خلا به تشعنا بالإرتياح وهوائها النقي كما أن أهلها مازالوا يعتمدوا على أنفسهم في توفير ظروف معيشتهم، ليست كمدينتي القديمه فمن بها أنصاف أحياء وأنصاف بشر يبيعون أخلاقهم ويرضوا بأبخس مقابل عند أول عرض دون أن يثمنوا هبة الحياه أو تقدير لإنسانيتهم.

عندما كنت في مدينتي القديمه كان عشقي لليل بلا إنقطاع، ففي الليل أشعر أنني أمتلك المدينه بأسرها لكن الكمال لله وحده حتى هذا الليل كان فيه ماينغصّ عليّ إستمتاعى به، كبعض المناطق التي يجتمع فيها شباب لم تتعدى أعمارهم خمسة عشر عاماً أو قل أطفالاً في أعمارهم لكن من تناولهم للمهيبات إقتربوا على النهايه!

وكذلك أصواتهم الجمهوريه تلك التي لا تمت للواقع بصله - يمكن يكونوا مستوردينها بس كان مكتوب عليها للكبار فقط ولأنهم ما بيعرفوش يقرأوا إستخدموها من غير ما يلاحظوا إنها غير مناسبه لسنهم -

بينما أنا غارق في التفكير سمعت صوت بكاء طفل لم يتعدى عمره العام فأخذتني نفسي إليه مسرعاً والتقطه من بين يدي أمه.

ومن هنا عرفت طريقي، من أين أبدأ وإلى أين أنتهي.

أصبح دوري الآن في هذه القرية أن يظل هذا الطفل على فطرته دون أن تتلوث فقررت أن أبعد هذه القرية عما تمنيت التخلص منه في مدينتي القديمة، وفعلاً حرصت على ذلك طوال فترة قيادتي لها.

نعم فتره، فحينما وجدت نفسي لا أقدم جديداً بايعة غيري على تولى المسؤولية من بعدي. وكان هذا هو الطفل الذي كان يبكي يومها. كان طفلاً أما الآن أصبح شاباً مثقفاً يعمل في المجال الذي تخصص فيه وأراده.

إدارتي للقرية في تلك الفتره لربما ذلك لم يكن كله أفضل ما لدي لكنني استحسنته.

فبالنسبه لكيفية الإلتحاق بالجامعه أصبحت في قرיתי بالبرغبات ثم التدريب عليها لمدة يراها مدرسا التخصص كافيه كل في مجاله، بحيث يتعلم الطالب أدق التفاصيل على أن يرى نتائج الآخرين ليتعرف كيفية الحصول عليها وليستطيع أن ينفذها بنفسه لاحقاً دون عناء.

أما التعليم الأساسي زدت إليه عدد ساعات الدراسة ونوعت فيه المواد الدراسية بحيث يدرس التلميذ الأسس التي يبنى عليها كل علم بالإضافة إلى آخر ما تم التوصل إليه في هذا المجال، فمن اسمها فترة تأسيس فإما أن يكون التلميذ أو لن يكون، له أن يرى العالم في شتى أنواع المعرفة ثم عليه أن يختار في أيهم يتخصص. على أن تكون العطلات أقصر ما يمكن حتى لا تتحول إلى فسحة يفقد فيها التلميذ ذاكرته وينسى ما تعلمه. فمن أكثر ما يثير إندهاشي الثلاثة شهور بين كل عام دراسي وآخر فلا أعلم لهم موقع من الإعراب نهائياً من حيث الزمان أو المكان فلا تدريب ثقافي أو رياضي ولا وجود لهم على الخريطة التربوية، سوى أنهم إحقاقاً للحق تفرغ لما تعلمه التلميذ طوال العام الدراسي ليأتي للعام الجديد مُفَرَّغاً مما تعلمه لنبداً معه من جديد وهكذا الدائره تدور، والله يتولانا.

وفي الإقتصاد اتبعت ما كان يفعله رسول الله الكريم (صل الله عليه وسلم) من مراعاة مصالح الجميع، بحيث يتم دمج المنفعة الشخصية والمنفعة المتعدية ولا إستئثار لأحدهم على حساب الآخر ومن بعده الخلفاء والسلف الصالح بتحديد المهام وتخصيصها للأولويات.

ومن أهم أساسيات البناء وحتى لا يحدث خلل، الإهتمام ببناء إنسان سوي
يرجو منه الخير لنفسه ولغيره مع الاهتمام بأبنائه وهنا مرتبط الفرس. من بداية
إستيقاظهم بتوفير خدمات آدميه وأساليب معيشه وتعليم تساعد على التنميه
حتى تحين ساعة النوم بتوفير الأمن والحفاظ على جو يساعد على راحتهم.
بدأت في تطبيق ذلك عندما تذكرت كيف كان الحال في عهد عمر بن عبد
العزیز وغيره ممن إهتموا بالإنسان.

، إنتهى ،،

المحتوى

صفحة

٣	مقدمه
٥	الفصل الأول
٨	الفصل الثاني
١٢	الفصل الثالث
١٦	الفصل الرابع